جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 28 العدد: 5 السنة: 2024
مجلة المعيار
EL MIEYAR

طوفان الأقصى وطوفان المعنى قراءة في ديوان تلك الدروب لعبد الملك بومنجل

Al-Aqsa Flood and the Flood of Meaning, A reading in the collection of *Those Paths* by the poet Abdel Malik Boumendjel

أ.د. رزيقة طاوطاو[1]
Razika.taoutaou@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2024/03/14 تاريخ القبول: 2024/05/28 تاريخ النشر: 2024/09/15
Received: 14/03/2024 Accepted: 28/05/2024 published: 15/09/2024

الملخص:

أتاحت ملحمة طوفان الأقصى بكل محمولاتها وتداعياتها للشعراء العرب كي يفجروا طاقاتهم الفنية وإجلاء كوامن الإبداع والقول الجميل والرسالي، كما أبانت قصائد الشعراء ما يضطلع به الشعر من وظائف كثيرة ،في بناء وعي الأمة ومعاني الانتماء، وإن المستقرئ للحظات الشعرية التي واكبت الأحداث وتداعياتها من تدمير وتقتيل وإبادة وتهجير وادعاءات كاذبة وتضليل من جهة العدو، ثم من بسالة وصور الشهادة والصمود التي قدمها الشعب الغزاوي ، يلحظ جملة من الظواهر النصية .

وما يسترعي الانتباه إثر تلقي نصوص بعض الشعراء الجزائريين ذلك التفاعل والصدق والعمق في التعاطي مع الحدث المهيب؛ حيث استحضر الشعراء صورا تتجاوز الطوفان الحرفي إلى التضامن والدعم والتماهي مع الحدث المذهل ومن ثمة تفجر طوفان من المعاني والدلالات. لذلك جاء هذا الموضوع الذي يتغيا تقديم قراءة وتحليل في بعض النصوص الشعرية للشاعر الجزائري عبد الملك بومنجل من خلال ديوانه الجديد "تلك الدروب".

كلمات مفتاحية: طوفان، المعنى، الشعر.

Abstract:

The epic of the Al-Aqsa flood, with all its predicates and repercussions, has allowed Arab poets to release their artistic energies and reveal the potentials of creativity and beautiful as well as epistolary speech. The poets' poems have also demonstrated the many roles that poetry performs in building a nation's awareness and the sense of belonging. Through an extrapolation of the poetic moments that accompanied the events with all their destruction, killing, extermination, displacement outcomes together with the enemy's false claims and misleading compaigns, on the one hand, and the images of bravery, martyrdom and resistance presented by the Gazan people, one can discern a number of textual phenomena. What draws attention when reading the texts of some Algerian poets is the interaction, honesty and depth in dealing with such a solemn event. The poets conjured images that transcended the literal flood to solidarity, support, and identification with the amazing event; and from there, a flood of meanings and connotations exploded. Therefore, we decided, through this research space, to provide a reading of some poetic texts from the collection of those paths by the Algerian poet Abdelmalek Boumendjel.

Keywords: flood,meaning,poetry.

(1) جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي (الجزائر)

مقدمة:

لقد هز طوفان الأقصى كيان الشعراء، وصار هذا الحدث الجلل مادة حية لنصوصهم، فعبروا عن ألم التدمير والتهجير والتجويع وعن حالة القلق الوجودي وحالة التشظي العام في العالم العربي.

وقد عايش الشعراء الجزائريون قضية فلسطين منذ بدايتها حتى واقعة طوفان الأقصى كحادثة ممتدة في زمان النضال الفلسطيني الطويل، كما حاول الشعراء أنسنة الحادثة ونقل تفاصيلها والتعبير عن المشاعر التي تعتلج في نفوسهم؛ ما يثبت أن الشعر من أسرع الفنون استجابة لتغيرات الحياة وأكثرها حفاظا على ذاكرة الشعوب، حيث نلمس ظواهر نصية جديدة في التعامل مع الطوفان وتداعياته، كما نلحظ حضور أسئلة حارقة عن النسق الفكري العربي تتعلق بالهوية والوطن والانتماء.

إن اللافت للانتباه عند تلقي نصوص الشاعر الجزائري "عبد الملك بومنجل" ذلك التفاعل والصدق والعمق في التعاطي مع الحدث المهيب، حيث استحضر وأبدع صورا تتجاوز الطوفان الحرفي إلى التضامن والدعم والتماهي مع الحدث المذهل .

لذلك ارتأيت عبر هذا الفضاء البحثي متوسلة ببعض آليات المنهج التأويلي مع اعتماد الوصف والتحليل، محاولة الإجابة عن مظاهر التفاعل والتأثر بحادثة طوفان الأقصى ومدى استطاعة الشاعر توليد معاني وصور شعرية جديدة.

. فما هي أهم الظواهر والأساليب الفنية المستحدثة المتعلقة بابتكار المعنى في ديوان تلك الدروب لعبد الملك بومنجل ؟

1.الشعر والحياة:

بما أنّ الشعر هو نبض الحياة وصوتها العميق، فإنّه لم يكن بمنأى عن التطورات التاريخية والسياسية والثقافية، إذ ظهر للوجود كوكبة من الشعراء الّذين حملوا على عاتقهم قضية الانتماء والهوية والذّات، فانعكس ذلك على نصوصهم الشعرية، وذلك "لارتباط الشاعر الجديد بأحداث عصره وقضاياه لا ارتباط المتفرج الّذي يصف ما يشاهد وينقل بما يصف وإنّما هو يعيش تلك الأحداث وهو صاحب تلك القضايا" (إسماعيل، 2007، ص 13)

إن الشاعر هو العين الصافية والحادي إلى تغيير الواقع، ينتدب نفسه لهذه المجاهدة مدفوعا بالإنسانية العالية فيه وتعاطفه الحميم مع قضايا المصير الإنساني. حتى أن الشاعر والفيلسوف شللي (1792-1822)* في صدد الدفاع عن الشعر يرى "أنّ اللغة نفسها هي شعر، ولكي تكون شاعراً ينبغي أن تدرك ما هو حقيقي وجميل، أيّ الخير الذي يوجد في العلاقة القائمة أولاً بين الوجود والملاحظة، وثانياً بين الملاحظة والتعبير. وكلُّ لغة أصيلة قريبة من منابعها هي في ذاتها مضطرب من القصائد البطوليّة.

أمّا تكاثر المفردات والفروق النحويّة فإنّها من صنع أجيال لاحقة، وليست سوى الدليل أو الشكل لما خلقه الشعر... وقد كان الشعراء في فجر العالم، وفقاً لظروف العصر والأمّة التي ظهروا فيها، يُدعون مشرعين أو أنبياء. والشاعر في حقيقة أمره يضم هاتين الخاصيتين ويجمع بينهما، إذ أنّه لا يشاهد فحسب الحاضر كما يتراءى، بعمق، ويكتشف تلك القوانين التي ينبغي أن تنتظم الأشياء المائلة وفقاً لها، بل يرى المستقبل في الحاضر. وأفكاره هي بذور أزهار الزمان الراهن وثماره اللاحقة في وقت معاً.

وهذا لا يعني أنّني أؤكّد أن الشعراء أنبياء بالمعنى الكامل للكلمة، وأنّهم يستطيعون التنبؤ بأشكال الأحداث بثقة كما يعرفون روح الأحداث: إنّ هذا لهو دعوى الأساطير التي قد تجعل الشعر صفة من صفات النبوّة بدلاً من أن تعتبر النبوّة صفة من صفات الشعر"(St Clair, 2005 p 65).

وفي هذا الصدد يعلن نزار قباني عن مهمة الشاعر الأساسية وضرورة توظيف الشعر لخدمة قضايا الوطن :"...عندما يرى الشاعر أنه عاجز عن إقامة التوازن بين فنه وموقعه من العالم فإن عليه أن ينسحب فورا ، وهذا ما فعله الشاعر الفرنسي "رامبو" حين وجد أن تجارة الرقيق التي امتهنها تتنافى مع خلقية الشعر فتوقف نهائيا عن الكتابة" (قباني، 1978، صفحة 13).

هكذا مضى نزار يعرف الشعر حتى تصوره "مخططا ثوريا ، يضعه وينفذه إنسان غاضب ، ويريد من ورائه تغيير الكون، ولا قيمة لشعر ،... لا يحدث شرخا في خريطة الدنيا ، وخريطة الإنسان" (صبحي، 1999، صفحة 13).

فالشعر إذن هو أقدر الظواهر الفنية والثقافية على التغيير والاستجابة لصوت الحق والخير والجمال، وهو المعيار النفسي على عافية المجتمعات أو اعتلالها.

2- حكاية النكبة الفلسطينية:

كانت قضية فلسطين مقدمة القضايا والمآسي العربية وهي لا تزال القضية الأبرز التي شغلت الفكر العربي والإسلامي وذلك لما تمثله فلسطين بأبعادها التاريخية، والدينية، والحضارية في الفكر والوعي العربيين، فدولة فلسطين هي القلب النابض للعالم الإسلامي، نظرا لما تمثله من بعد حضاري وإرث ثقافي، بالإضافة إلى مركزيتها في تاريخ الأديان. والمتمثلة في القدس الشريف وما تحمله قدسية المكان من مكانة في وجدان المسلمين." (صالح، 2002، صفحة 25).

تعود القضية الفلسطينية إلى ما جاء بموجب إعلان وعد بلفور المشؤوم عام (1917) مرورا بانتفاضات حرب(1948)، ليمتدّ الانتداب البريطاني عام (1948)، وهو تاريخ النّكبة الّذي بدأت معه موجة المهجّرين الفلسطينيّين من أراضيهم بعد مصادرتها من قبل الكيان الصهيوني، ليبدأ معها الاستيطان اليهودي الّذي شكّل مظهرا من مظاهر الاحتلال، ليتحوّل فيما بعد إلى معسكرات وبؤر تهديد للشّعب الفلسطيني الأعزل وهي نيّة مبيّتة لتجريد الفلسطينيين من هويتهم وتهويد أرضهم.

لقد عمل هذا الكيان على طمس معالم التّاريخ الفلسطيني وسعى إلى تنفيذ السّياسة اليهوديّة التي استندت في احتلالها لفلسطين إلى مزاعم يهوديّة كاذبة مدّعية أنّ "تأسيس الدّولة اليهوديّة، كان تنفيذا لواجب دينيّ، وتطبيقا لنبوءات(التوراة)" (جارودي، 1985، صفحة 283).

وهي فكرة أراد بها اليهود مغالطة الرّأي العام لتنفيذ مشروعهم الاستيطاني في فلسطين، وظلّ اليهود يفاضلون بين عدّة دول لإقامة كيانهم الاستيطاني، إلى "أن تمّ البتّ بالأمر عام (1897) مع انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول، الّذي صاغ البرنامج الصّهيوني ونصّ على أنّه (تسعى الصّهيونيّة إلى بناء وطن للشّعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام)" (جارودي، 1985، صفحة 120).

وبما أنّ العامل البشري يعدّ مكوّنا أساسيا لعمليّة الاحتلال، فقد سعى اليهود منذ الوهلة الأولى إلى ترحيل أكبر عدد ممكن منهم "حيث أصبح تفريغ فلسطين من أهم أهداف الحركة الصهيونية لإقامة الوطن القومي لليهود، فمارست الحركة الصّهيونية كل أشكال التّرهيب والقتل ونفّذت العديد من المجازر، وقامت بأكبر عمليّة ترحيل عرفها التّاريخ المعاصر". (ثابت، يونيو2015، صفحة 11).

وهكذا أصبحت الأراضي الفلسطينيّة موطنا لليهود بعد الهجرات اليهوديّة الّتي تمّت عبر مراحل متتاليّة وفق مخطّط ممنهج، والّذي آل إلى إقامة مستوطنات يهوديّة، وبالمقابل تمّ إفراغ المناطق الفلسطينيّة من سكّانها الأصليّين حتّى "أصبح المجال متّسعا لاستيعاب مئات الألوف البديلة من اليهود، لتحقيق الحسم الدّيموغرافي في فلسطين". (أحمد عزت، صفحة 123 وما بعدها)

لقد سعى الاحتلال الصهيوني إلى ترحيل الشعب الفلسطيني بشتى الوسائل فلجأوا إلى الحرب النفسية وكل أنواع التّنكيل والتّرهيب، وخير مثال مجزرة دير ياسين ومدى تأثيرها على رحيل الأهالي.

وهكذا توالى ترحيل الفلسطينيّين وتشتيتهم عبر أصقاع العالم، حتّى غدت النّكبة تاريخا يرتبط بالفلسطيني ومرحلة حتميّة في تاريخ وذاكرة الفلسطينيّين، ورافدا معرفيّا يترجم ألم الفلسطيني الّذي لم يترك وطنه راغبا، بل مرغما ومهجّرا ومبعدا.

لقد تجاوب الشاعر العربي مع انتصارات الثوار الفلسطينيين وأبطال المقاومة وأطفال الحجارة وبعد ذلك حتى اليوم حيث حادثة طوفان الأقصى، فكان ميلاد عديد القصائد التي تفاعلت و تجاوبت وتصدت ،فكانت صورة جلية لالتزام الشاعر بقضايا أمتهم .

3- تحولات المعنى الشعري في قصيدة "المنعرج":

3-تحولات المعنى الشعري في قصيدة "المنعرج"

لعل أن بلوغ المعنى وتحوله في الشعر يكشف عن حس جمالي مبنى على أسس متينة ذات أبعاد دلالية منبثقة من العمق الذاتي والوجداني والنفسي، ونابع من طبيعة تجربة الشاعر الثرية التي تسهم في تعميق الدلالة الكلية للنص ،إذ يأخذ الشاعر من ملامح العالم الواقعي ويمزج فيه ذاته، ويرسم لوحته الفنية المعبرة في بؤرة يلتقي فيها الواقع بالخيال، ويتمازج خلالها الوعي باللاوعي، والموضوعي بالذاتي والخاص بالعام، مما يحدث نوعا من التفاعل الخلاق ليحقق إضافة مبتكرة وعملاً إبداعياً جديدا .

يقول الشاعر "عبد الملك بومنجل"

* في قصيدته "المنعرج" التي نظمها بداية طوفان الأقصى:

طوفان الأقصى مُنعَرَجُ* لغدٍ سيَلوح بهِ الفرَجُ
خرجَ الأبطالُ وفي دمهِمْ* نسماتُ العزةِ والأرجُ
سَرَجوا بالعزّ خيولَهُمُ * لِعيون الأقصى ما سرَجُوا
ورموا بالذلِّ عدوَّهُمُ * أرأيتَ القومَ وقد خرجوا
من تلك الأرضِ وفي دمِهِمْ* أنفاسُ الذلّةِ، والحرَجُ؟
خرجوا والفجرُ يباركهُمْ* ويردّدُ: هذا منعرَجُ!
عَرَجوا بالحُلمِ إلى أُفُقٍ* أعلى، وإلى العَليا درَجوا

يا ربِّ تولَّ عُروجَهُمُ*ما مدّوا الخطوَ وما انعرَجوا
وأتِمَّ النصرَ لمن نَصَروا*أرضا باركتَ لها أَرَجُ
دربُ الإقدامِ لنا قَدَرٌ* ودمُ الأحرارِ لنا فَرَجُ (بومنجل، 2024، صفحة 57).

يعلن الشاعر منذ العتبة النصية الأولى عن وجود منعرج في مسار النضال الفلسطيني مستخدما أسلوبا صريحا مباشرا ،وبنغمة حماسية زادها إيقاع الخبب (فعلن فعلن فعلن فعلن) خفة ورشاقة وشموخا حيث النغمة الموسيقية واللفظة الحية الرصينة ،لترسم حركات الأبطال الأشاوس وهم يقدمون لأجل استرداد الكرامة، فيبين الشاعر أن طوفان الأقصى منعرج حاسم في تاريخ النضال الفلسطيني ما يشي بقرب انفراج الغمة وانبلاج فجر الحرية وانتصار صوت الحق ، حيث خرج أبطال حماس وكلهم عزة لنصرة الأقصى فأذاقوا العدو الصهيوني الذل وتساموا بأحلام الأمة الإسلامية المخذولة منذ هزيمة (1967) . ويختم قصيدته بالدعاء والابتهال لأجل المزيد من النصر مهما كثرت دماء الشهداء وتسامت الأرواح فداء للأقصى فالشاعر يؤمن بأن الحرية تنال بفعل المقاومة والشهادة .

وتطالعنا لغة الشاعر الموحية وعبارات الوصف منذ مطلع القصيدة في إشارة إلى أن الواقعة منعرج كبير في تاريخ النضال الفلسطيني والعربي. وقد وظف معجما دلاليا مشحونا بمعاني التفاؤل والأمل والغد المشرق والنصر مثل (منعرج، الفرج ، العزة ، الفجر ، الحلم ، النصر ، الإقدام). واستمرت ظلال هذه الملفوظات الموحية حتى نهاية القصيدة في محاولة لإيصال إشعاعات الموقف البطولي للثائرين الأبطال وإشاعة الإحساس بالانتماء القومي.

ولعل أكثر المظاهر النصية حضورا وأشدها أثرا اهتمام الشاعر بتصوير قدسية الفعل البطولي ما جعل القصيدة تنجح في خلق مؤثرات تدفعنا للتفاعل معها، ويجدر التنبه إلى حقيقة مهمة في واقع البناء الفني لهذه القصيدة، وهي حضور القيم الدينية والإنسانية من خلال تشبيه الطوفان بالعروج ما يعمق استجابة القارئ،كما يعكس توظيفه للفظة "العروج" سموا بيانيا في توصيف حادثة طوفان الأقصى وفيها دعوة للمتلقين للتحليق بفكرهم لأجل فهم وظيفة المقاومة والثورة في غزة.

وفي قصيدة انتقام الجبان يعتمد الشاعر نظاما فنيا يقوم على نظام الدفقة الشعورية المباشرة والصريحة ، يقول:

تُبنى وتُهدَمُ ثم تُبنى* أمّا العدوُّ فذاقَ غُبنا
لما سَقيناهُ اللظى *وبألفِ مُرتزِقيهِ أُبْنا
صبَّ الحقيرُ سُعارَهُ* فوقَ البِنى حِقداً وجُبنا

الشاعر في هذا المشهد يتفاعل مع وتيرة الأحداث وانتقام العدو الصهيوني وزبانيته حيث انفضحت صورته للعالم، حيث راح يشن حربا مسعورة جبانة بعد أن ذاق طعم الهزيمة؛ فأقدم على أفعال الإبادة والتهديم والتقتيل والترويع.

إن تكرار الشاعر للفظة (تبنى) إشارة إلى الخراب الذي آلت إليه مدينة غزة الجميلة، والتي تعرضت في عديد المرات لفعل التخريب والدمار ورغم ذلك فقد أبت الفناء واستعادت الحياة، وقد ساد في هذه الومضة الشعرية المكثفة دلاليا جو الإباء والتحدي والبطولة والفداء لدى الفلسطينيين في حين صور مشاعر الخزي والعار عند العدو الصهيوني.

ثم لا يلبث الشاعر وهو يترقب مسار حادثة طوفان الأقصى أن ينصرف للمرافعة عن عدالة القضية الفلسطينية وإشاعة كل معاني الفداء، فتتحول المفردات عنده إلى كائنات متقدة ذات شحنة انفعالية عالية، يقول في قصيدة نشيد الصمود:

نشيدُ الصُّمود

نحن لا نُهدِرُ أرواحا سُدى * بل نزُفُّ الروحَ للعَليا شهادة
نحن لا نَرهَبُ أسرابَ الرَّدى * تنفُثُ الحقدَ على وهْمِ الإبادة
بل نُلاقيها وإن طالَ المَدى * خوضُنا البأساءَ والهيجاءَ عادة
موتُنا القُدسيُّ في ساحِ الفِدا * شرفٌ، فخرٌ، صلاةٌ، وعِبادة
نحن لا نحيا عبيدا أبدا * نترقّى، أو نعيشُ الدهرَ سادة
إنْ دعانا الوجدُ لبَّيْنا النِّدا * أو أرادَ المجدُ لبينا مُرادَهْ
الجراحُ الخُضْرُ تزهو بيننا * زَهْوَ حُرٍّ أكْبَرَ الدهرُ عِنادَهْ
والكِفاحُ المُرُّ يَسري في الدِّما * سَرَيانَ العزمِ في قلبِ الإرادة (الملائكة، 2007، صفحة 306).

يتراءى الشاعر في هذه الأبيات وقد تبنى القضية الفلسطينية قلبا وقالبا وانتصر لها فباتت عنده القصيدة محطة أولى بوصفها مجاله الحيوي، حيث راح يعري حقيقة المحتل الصهيوني. ويعلن بلهجة خطابية مستخدما ضمير المتكلم (نحن):أن أرواح الشهداء تزف إلى جنان الخلد وأن مقاومي الأقصى لا يرهبهم جبروت العدو، وأنهم لا يقاومون عدوهم بنفث الشرور والأحقاد بل يخوضون الحرب وفق أعراف إنسانية. ثم يتسامى في تصوير قيمة الموت لدى الغزاويين، فالموت عندهم قدسي يتقربون به فداء للأقصى، ورسالة التحرير عندهم لا تقل قداسة عن رسالة الأنبياء وهم يرفضون حياة الذل ملبيين نداء المجد والحرية، ويصور الشاعر أن روح الكفاح تسري في دمائهم وتتجدد رغم حرب الإبادة، فشعب غزة صامد يأبى هجر وطنه، كما يظهر لنا من خلال القصيدة المغزى الأساس من المقاومة وهو حماية عقيدة الاستشهاد عندهم ، هذا الموقف الذي يرسمه الشاعر عن عقيدة الموت لدى الغزاويين يعيد الى الذاكرة موقف الشاعر الانجليزي المبدع جون كيتش (John keats) فهو يقول في إحدى قصائده : " الشعر والمجد والجمال أشياء عميقة حقا ، ولكن الموت أعمق ، الموت مكافأة الحياة الكبرى" (الملائكة، قضايا الشعر المعاصر ، 2007، صفحة 306). ،كما نلحظ بلوغ الأداء الفني ذروته مع الاحتفاظ بالخيط الفكري في الأبيات دون علو النبرة الخطابية التي بدت من خلال استخدام ضمير الجماعة (نحن).

وينجح الشاعر في تجسيد معاني التعاطف والعزاء والمساندة حيث يقول في قصيدة "**لا تبكِ عينُكَ**":

لا تبكِ عينُكَ أيها "الجبّارُ * وإنْ استفاضَ دمٌ وعمَّ دَمارُ
لا تبكِ عينُكَ أنتَ نسلُ أرومةٍ*يعنو لصخرةِ بأسِها الإعصارُ
أنتَ الذي علّمتَ بحرَكَ موجَهُ*وتعلَّمتْ منكَ اللهيبَ النارُ
وعلى يديكَ تعلّمتْ أرضُ الفدا*عند الوغى كيفَ الحروبُ تُدارُ
وقد استمتَّ مُجاهدا، واستبسَلَتْ* فيكَ المواجعُ، والخُطوبُ كِبارُ
وقد استمدَّ مَضاءَهُ منكَ المَضا*لمّا هوى حِصنٌ وذُكَّ جدارُ
..... (بومنجل ع.، صفحة 59)**!"**

الشاعر في هذه القصيدة يوجه رسالة للشعب الغزاوي الأعزل الذي دمرت بيوته وفقد أهله؛ حيث يضعنا الشاعر في صميم الحدث المهول وملحمة الدفاع البطولي، فنلحظ أجواء المواساة وجبر الخواطر تسود المناخ العام للقصيدة. ونرى الشاعر يحتفظ بطاقة إيماضية من خلال استخدام لغة موحية حيث تكرار العبارة (لا تبك عينها) الدال على الاحتدام النفسي والرغبة في التعبير عن التعاطف والتأثر جراء عظم البلاء. وثمة ظاهرة لافتة للنظر؛ وهي لجوء الشاعر إلى العطف بحرف الواو عن طريق قرن المفردة إلى ما يصفها أو يرادفها مثل قوله : (وإنْ استفاضَ دمٌ وعمَّ دَمارُ . والخائنينَ بصمتِهِمْ رجمًا، فَيَا... ولسوفُ يعقُبُها غدٌ مِعطارُ)كما لجأ إلى تكرار جملة لا تبك ...كعتبة استهلال وختام، وكأنه يسيج نصه بكل معاني العزاء لشعب غزة الأعزل.

4- دلالة العنوان في قصيدة(مو اقف ع ب ري ة):

تساهم التجربة الشعرية في تحديد الشكل الذي تتخذه القصيدة فالشاعر يتعامل مع الكلمة وبالكلمة لما لها من جرس موسيقي ، ذلك أن اللغة هي: " أداة زمنية ، لأنها لا تعدو أن تكون مجموعة من الأصوات المقطعة إلى مقاطع تمثل تتابعا زمنيا لحركات وسكنات في نظام اصطلح الناس على أن يجعلوا له دلالات بذاتها ، وبهذا المعنى تكون اللغة الدالة تشكيلا معينا لمجموعة المقاطع والحركات والسكنات من خلال الزمن ، أو هي في الحقيقة تشكيل للزمن نفسه تشكيلا يجعل له دلالة معينة ، تماما كما أن التصوير تشكيل للألوان.." (إسماعيل، :التفسير النفسي للأدب،، 1981، صفحة 61)، والمتأمل في قصيدته "مواقف ع ب ر ي ة "لا شك يلحظ خصوصية التشكيل الصوتي في استلهام الأحداث وإبداء الموقف ،يقول الشاعر:

مواقفُ ع ب ر ي ة

"الباءُ" قبلَ "الراءِ"؛ أخطأَ كاتبٌ
كتبَ الحروفَ وقد تقدّمَ راؤُها
إنَّ الشعوبَ إذا ترهَّلَ عزمُها
دونَ الكِفاحِ فَداؤُها أمراؤُها
"عربيةٌ" تلك المواقفُ إنما
سبقتْ إلى ثاني المواقعِ باؤُها
تلك المواقفُ لوثةٌ أبديّةٌ
إنَّ اللئامَ على الشعوبِ وباؤُها (بومنجل ع.، 2024، صفحة 62)

يعد العنوان من أهم المفاتيح التأويلية التي تتيح للقارئ استنطاق النص، إن العنوان في الخطابات القصيرة هو الذي يتكفل بإثارة انتباه المتلقي والإيقاع به. ويتفوق بذلك على النص الذي يسميه في شعريته ؛فالعنوان جزء لا يتجزأ من استراتيجية الكتابة لدى الناص لاصطياد القارئ وإشراكه في لعبة القراءة " فما من عتبة إلا وتحمل دلالة ما،...ولا يمكن لها أن تكون بريئة في موضعها وموقعها وتركيبها ، ما دام عليها أن تواجه بياض الصفحة الأولى ،وتعمل على تخفيف حدة التوتر الذي يعتري القارئ.." (أشهبون، 2009 ، صفحة 43).

فالمتأمل في عنوان هذه القصيدة (مواقف ع ب ر ي ة) يلحظ أنه جاء محملا ببعد رسالي يتعلق بالنكبة الفلسطينية والتجويع وفعل الإبادة، وفي هذا إعلان مبدئي عن الحجم التأثيري للموقف من القضية الفلسطينية في سعي من الشاعر لإضفاء أحكام على الموقف العربي الخاذل وترهل العزائم العربية.

لعل الشاعر يحاول استفزاز القارئ كجزء من الموقف العام لكي يمارس لعبة الإغراء صوب المتن. فنحن نلاحظ كيف يتلاعب بتوظيف تراتبية الحروف؛ فالباء قبل الراء. ويوهم أنه أخطأ في تقديم الراء لكنه في الأخير يصرح بقوله: "إنَّ اللئامَ على الشعوبِ وباؤُها"، ويبدو أن الشاعر يعبر عن مركب الهزيمة كما يثبت أنه يؤمن بالمفارقة الواقعية والتي لا يمكن أن يكافئها سوى مفارقة موازية في العنوان الذي جاء معادلا لمضمون النص كما يشي الصمت بالاستياء من الموقف العربي الذي وصفه بكونه لوثة أبدية.

لقد قام الشاعر بتفتيت الأصوات وبعثرتها ثم إعادة بنائها بخياله المبدع باستخدام لغة تجعلنا نرى الأشياء رؤية مادية رغبة في التعبير عن مشاعره الأصيلة. إنَّ اللئامَ على الشعوبِ وباؤُها. ليحاول من خلالها بناء عالم جديد خال من الجبن والخيانة والانكسار أمام ترهل الموقف العربي، فالمواقف العربية في رأيه لم تكن عربية حقا، تليق بما للعربي الحق من أنفة وغيرة وحمية ونصرة لأخيه العربي، بل وقع عليها لونٌ من زحزحة الحروف عن مواقعها وترتيبها؛ فهي في الواقع عبرية، ولا يحق لها أن توصف بالعربية. والشاعر هنا يستغل ما في الحروف المشكّلة للكلمتين من تطابق، فيعيد بعثرتها، ليوحي بإمكان تغيير بعض وحداتها من موضع إلى آخر، فتبرز الحقيقة المريرة كما هي: إنها مواقف عبرية لا عربية.

لقد ترجم بومنجل في نصوصه حالة القلق الدائم الذي طالما لازم الشاعر الحداثي، فبدت الذات الشاعرة في أوج القهر والمعاناة، كيف لا وهو يفتتح قصيدته ليخاطب فيها التاريخ والإنسان، ذلك أنه يحاول أن يقلل من ذلك الظمأ الروحي الذي احترق بنار الظلم، وهو بذلك يحاول أن يعبر عن ذلك الصراع الداخلي الذي تعيشه الذات العربية.

ارتبط فهم الجميل بماهية الإنسان باعتباره كائنا راغبا في المعرفة ، ويختلف فهم الجمال بين الناس كونه قيمة تمثل ذروة التفكير العقلي ولكونه يتجلى في مظاهر شتى، غير أن الشاعر له تصور آخر للجمال في قصيدته التي وسمها "الجمال الجمال" يقول:

الجَمالُ الجَمال..

ما الذي يصنعُ الرؤى والمعاني

غيرُ حُبٍّ نحيا لهُ، ونُعاني؟

الوجوهُ التي يُـغـبِّرُ وحشٌ

قَصَفَ الأرضَ والندى والمباني

يَمرحُ النورُ بينها ويُغَنّي

للغدِ الحُرِّ والهوى الأرجواني

في عيونِ الأقمارِ معنىً جليلٌ

وابتسامُ الأقمارِ روحُ المعاني

.....

والمُحَيّا، يا لَلْجَمالِ المُحَيّي!
بهجةُ الروحِ أم رحيقُ الجِنانِ؟
يا خليليَّ! إنني الآنَ وَجدٌ
بِمعـانٍ ترتدُّ عنها المعاني
فَلسَفَ الناسُ للجمالِ رؤاهُمْ
والجمالُ الجمالُ ما تَرَيانِ!
الجمالُ الجَمالُ بَرعَمَ وَردًا
غزّةُ اليومَ غُرَّةٌ في جبيني
إنْ ضـللتُمْ فغزّةٌ عُنـواني (بومنجل ع.، 2024، الصفحات 65-67)

في هذه القصيدة يلجأ الشاعر إلى توظيف معجم دلالي يتضمن صور البراءة والطفولة الغزاوية. فأطفال غزة ليسوا كباقي الأطفال الرافلين في أحلامهم وعالمهم الطبيعي حيث حياة المرح والانتشاء بلعب الأراجيح، فهم أطفال بوجوه مغبرة بالرماد جراء قصف الصواريخ. فيغدو الزمن في غزة يدفع الأطفال ويأخذهم من الطفولة إلى الشيخوخة ويجعلهم رجالا في أول لقاء مع العدو.

ويرى الشاعر أن الجمال يبرعم في أطفال غزة وردا من ركام (يمرح النور، يغني للغد، ابتسام الأقمار)، حيث ينساق الشاعر وراء العواطف الروحية مطلقا العنان للتساؤل عن السر الذي يجعل المشهد المأساوي الحزين لمصير الطفولة بغزة يتحول إلى سر وسرور. كما راح يفصح عن فلسفة الجميل عنده؛ فالأفق يحمل بسمة الطفل للقاء الجنة في محاولة من الشاعر لتحقيق التوازن النفسي والروحي، لتضحي الطبيعة وكل ما تعلق بجمال الحياة شاهدا على شاعرية هذا النص، وهذا ما لجأ إليه الشاعر منذ البداية "حيث جعل من النور والبهجة والحياة شاهدا على أن غزة ستنتصر وأن الرماد سيزهر والأقمار ستضيئ والورد سيتفتح. ذلك لأن نظرة الشاعر إلى الطبيعة استثنائية؛ وهي بين حنايا نفسه التي تتوق إلى الانعتاق من السطحية والتشاؤم، فتضحي بذلك متنفسا للواعجه وأحزانه، ثم يتدرج الشاعر في هذه القصيدة دائما عبر حقل معجمي متفائل، فيوظف (الموج والبهجة والأقمار...) فيشعرنا أن الذات الشاعرة تزداد ثقة بهذا الطوفان وبصمود الشعب الغزاوي. وتتضاعف المناجاة، وتتفرد بلغة شعرية تشكل نظرة مختلفة للعالم والأشياء، حيث تتشكل الرؤية الفنية مطعمة باتساع الخيال وخصب التجربة وقوة الانتماء؛ فغزة (غرة في جبينه، وإن ضل الجميع تبقى غزة هي عنوانه..)

يقول عبد الملك بومنجل في قصيدة منارات غزة:

مناراتُ غزة
أبناءُ غزةَ في قلبي قناديلُ
ونبعُ فجرٍ، مناراتٌ، تراتيلُ
أطفالُ غزةَ سحرٌ في نواظرهمْ
ويُرهِبونَ وهم جُردٌ مَعازيلُ
نساءُ غزةَ أطوادٌ، ذُرى جبلٍ

وإنْ دهاهُنَّ من خَطبٍ أساطيلُ

رجالُ غزةَ أمجادٌ إذا عَزَموا

أمّا رماةً فأطيارٌ أبابيل (بومنجل ع.، صفحة 68)

إن ما جرى في غزة، أتاح للشاعر أن تنبثق عيون الإبداع المتدفقة من دواخله، وتتجدد الطاقة الإبداعية عنده، فالشاعر يمتح من معين النص القرآني ورد في قوله تعالى: (وَأَرسَلَ عَلَيهِم طَيرًا أَبَابِيلَ) سورة الفيل الآية (3) فرماة القسام أطيار أبابيل، ومن الشعر العربي القديم والقصيدة البردة لكعب بن زهير (فالأطفال يرهبون وهم جرد معازيل) حيث نستحضر قوله :

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل (الطباع، صفحة 19).

فهو يقطف من ثمار الأشجار القديمة، ويغرس ثماره وأشجاره الجديدة، ويؤلف، ويقتفي نهجا مشتركا يجمعه بمعاصريه، والمحَصِّلة في النهاية هي الحرص على القول الشعري الجميل والموقف الإنساني الخالد.

لقد فضل الشاعر أن يرسل من خلال نصوصه رسالة اطمئنان للجميع مستفادة من طول نظره ومعرفته الواسعة، للوصول إلى حقيقته المرادة الدالة على البقاء والحياة، أو هو على الأقل يقوم بغرس بذرة الحياة في النفوس، لبناء وعي صحيح من ركام الدمار والتجويع وحرب الإبادة والتهجير، بغية تثبيت العزيمة.

لقن الشعب الغزاوي ومجاهدو القسام دروسا للصهاينة العتاة مفادها أن العروبة لا تزال حية، وأن فلسطين التي حدثت فيها رحلة الإسراء والمعراج، هي الأرض التي تحكي حكايتها مع أفواج الغزاة الذين حاولوا طمس عراقتها، وكم من واهم ومتوهم من قبل الصهاينة، يتمنى أن يبتلع البحر غزة اغتياظا جراء استعصائها عليهم. يقول الشاعر:

غزّة وحبيبُها البحر

(تمنى إسحاق رابين أن يبتلع البحر غزة لشدة ما يجدون من استعصائها على المحتل؛ فهل ابتلع البحر غزة؟)

لم يبتلعها ولكن بات مُلتحِفًا

عزمَ الأُباةِ وأشواقَ الأبِيّاتِ

وبات يُنصِتُ للأحلامِ مبتسِما

وحُلْمُهُ يُبصِرُ الماضينَ في الآتي

تدفّقتْ في حنايا مَوجِهِ مِقَةٌ

فداعبَ الموجُ أطرافا بَهيّاتِ

وقال للسهلِ ممتدا بلا جبلٍ

أين الجبالُ أيا سهلَ المُروءاتِ؟ (بومنجل ع.، صفحة 70).

ويواصل الشاعر تشكيل رؤيته وموقفه من أحداث طوفان الأقصى وتداعياته، في سعي حثيث للقبض على أهم اللحظات المأساوية التي تصل عبر نشرات الأخبار؛ حيث راح يصور أوجاع الصحفي "وائل الدحدوح" الذي فقد أغلب أفراد عائلته خلال قصف جوي؛ فصوّر الشاعر هذه التجربة المرة تصويرا تمجيديا رفع به من مقام هذا الصحفي الصبور المحتسب الذي ظل يواصل

جهاده في فضح القصف الهمجي، وقدمه في صورة الرجل الذي تتجسد في صموده قيم الصبر والصلابة والعزم، فيقول: "**وائلُ الدحدوح**"

تَغلو، فتَعلو إلى رحمانِها الرُّوحُ
فينهضُ الصبرُ، في جنبيْهِ دَحدوحُ
يا شاهقا عَلَّمَ الأكوانَ منتصِبا
كيف الصلابةُ والبنيانُ مجروحُ!
ودَّعتَ روحَكَ في أرواحِ من رَحلوا
لكنْ نهضتَ وفي أطوائكَ الرُّوحُ
روحٌ بحَجمِ سماءِ القدسِ صاهلةٌ
بأنَّ قلبَكَ للرحمنِ مشروحُ
وأن عزمَكَ عزمُ الأرضِ ما وهَنَتْ
فيها الجبالُ، ولا الوديانُ والسُّوحُ
كأنما أنتَ والأقدارُ هاطلةٌ
عليكَ بالمُرِّ، والشَّريانُ مفتوحُ
والسيل يجرفُ أقواما ليُغرِقَهمْ
كأنما أنتَ في طوفانِهِمْ نُوحُ
سفينةُ الصبرِ والإقدامِ ماضيةٌ
بصبرِكَ الفذِّ نحو النصرِ، دحدوحُ (بومنجل ع.، صفحة 73).

في هذه اللوحة الشعرية يتوارى الشاعر وراء لحظات محمومة بالمواجع، يسعى من خلالها إلى خلق عالم مواز أكثر صمودا وتجلدا وإيمانا، عبر عبارات (كأنما أنت في طوفانهم نوح، والقدس ترقب فيك الفجر شاهدة...) وهي كلها عوالم تنبض بالنصر والحياة وتترجم مخزونا مثقلا بالمعرفة الدينية والتاريخية، وهذا في الحقيقة لا يتأتى إلا بواسطة لغة خاصة، تتحقق عن طريق هذا الخلق الرؤيوي الذي يمزج خلجات الروح بالخيال فتستعين به "كحامل لوهج هذه الرؤيا وموطن عنايتها بالغيبيات التي لا حيلة للعقل أمامها" (كعوان، 2003، صفحة 6).

5-خاتمة:

لقد نظم بومنجل قصائده في أيام متوالية من طوفان الأقصى،ليبقي خياله حيا، وعاطفته وعواطف الناس حية متأججة.وقد ذيل نصوصه في ديوانه بتاريخ نظمها بين شهري أكتوبر ونوفمبر من سنة 2023م إلى غاية أيامنا هذه،وهي المرحلة التي تسارعت فيها الأحداث ولا تزال.

. يظل الشعر قلعة المقاومة التي لا تهدم، فالشاعر "عبد الملك بومنجل" صور الموت بمعنى الشهادة، والنصر بمعنى إقرار الحق وإزهاق الباطل، وهذه هي الحقيقة الأولى التي تعني الثبات والمناصرة في تأدية وظائف الخيرية المتصلة بالأمة.

. استخدم الشاعر معجما دلاليا مشحونا بمعاني الأمل والتفاؤل كما هيمنت معاني الفداء والعزم والصبر وهي دلالات تختزل الهواجس والمواقف وتجسد صوت المقاومة الذي لا يقهر.

. عبرت القصيدة عند الشاعر عن قضايا الهوية والوطن والانتماء، وتجلت فيها قدرة كبيرة على قراءة الماضي وحسن توظيفه في الراهن.

. عكست نصوص الشاعر حالة التشظي العام في العالم العربي وعن حالة القلق الوجودي والصراع الداخلي الذي تعيشه الذات العربية ، كما وثقت ذاكرة الشعب الفلسطيني الصامد المتمسك بأرضه، ومنه فهذه النصوص تعد مساهمة في صوغ الوعي بالقضية الفلسطينية.

. إن المواقف قبل أن تنجز إبداعا تكون من المحركات الأساسية لعملية الإبداع برمتها، وتكون مواكبة للزمان بحمولاته المختلفة في الماضي والحاضر والمستقبل. والشاعر "عبد الملك بومنجل" من هذه الطينة الطيبة المسايرة لقضايا الأمة، والمنافحة عن مبادئها وأحقية تصوراتها في الوجود، فمن المعاني التي نستخلصها من شعره، أننا لن ننهزم، ولن نموت، ولن نتراجع عن مبادئنا، ولن نستسلم أو نسمح في مقتضيات هويتنا، ولن نعيش إلا على ضوء العقيدة الإنسانية الراسخة في دواخلنا، وسنقضي على كل الأوهام المحيطة بوجودنا، والساعية إلى اجتثاثنا...هكذا نحن، وهكذا قال الشاعر فأحيا نفوسنا من جديد. ولعلّ العبارة التي طالما رددها شاعر الانتفاضة محمود درويش تجسد صوت المقاومة و توجز ماهية وحقيقة المدينة التي أدمنت قيم المقاومة : "إن سألوكَ عن غزة قل لهم بها شهيد، يسعفه شهيد، ويصوره شهيد، ويودعه شهيد، ويصلي عليه شهيد"

5- قائمة المراجع:

1. عز الدين إسماعيل، الشّعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنّية والمعنوية)، د ط، دار العودة، بيروت2007.
2. . عز الدين إسماعيل :التفسير النفسي للأدب، دار العودة ، بيروت ط 4 . سنة 1981 .
3. . محسن محمد صالح، فلسطين (سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية) ط1، كوالا لامبور، ماليزيا2002 .
4. محمد كعوان، شعرية الرؤيا وأفقية التأويل، دراسات في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، ط1، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، سنة 2003.
5. نزار قباني : الكتابة عمل انقلابي ، منشورات نزار قباني ،بيروت الطبعة 1 سنة 1978.
6. محي الدين صبحي : الكيان الشعري عند نزار قباني ، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت سنة 1999
7. . رجاء جارودي : فلسطين أرض الرسالات الإلهية . ترجمة عبد الصبور شاهين مكتبة دار التراث ، القاهرة سنة 1985 .
8. أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر،مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر
9. نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط 14 .سنة 2007.

10. عبد المالك أشهبون: عتبات الكتابة في الرواية العربية ،دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا .ط 1 .سنة 2009 11 . عبد الملك بومنجل: عنوان الديوان "تلك الدروب" ، دار خيال، الجزائر 2024. .

12 . ديوان كعب بن زهير، شرح وتحقيق عمر فاروق الطباع ،دار الارقم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ،

- 13Clair, William. The Reading Nation in the Romantic Period. Cambridge: Cambridge University Press, 2005

14. عبير عبد الرحمان ثابت، مدى تأثير فكرة يهودية الدولة الإسرائيلية على مستقبل القضية الفلسطينية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد1، يونيو2015.

Refernces :

1. ‘Izz al-Dīn Ismā‘īl, alshsh‘r al-‘Arabī al-mu‘āṣir (qaḍāyāhu wa-ẓawāhiruhu alfnnyh wa-al-ma‘nawīyah), D Ṭ, Dār al-‘Awdah, byrwt2007.
2. ‘Izz al-Dīn Ismā‘īl : al-tafsīr al-nafsī lil-adab, Dār al-‘Awdah, Bayrūt Ṭ 4. sanat 1981.
3. Muḥsin Muḥammad Ṣāliḥ, Filasṭīn (Silsilat Dirāsāt manhajīyah fī al-qaḍīyah al-Filasṭīnīyah) Ṭ1, kwālā lāmbwr, mālyzyā2002.
Muḥammad k‘wān, shi‘rīyah al-ru’yā w’fqyh al-ta’wīl, Dirāsāt fī al-khiṭāb al-shi‘rī al-Jazā’irī al-mu‘āṣir, Ṭ1, Ittiḥād al-Kitāb al-Jazā’irīyīn, al-Jazā’ir, sanat 2003.
5. Nizār Qabbānī : al-kitābah ‘amal anqlāby, Manshūrāt Nizār Qabbānī, Bayrūt al-Ṭab‘ah 1 sanat 1978.
6. Muḥyī al-Dīn Ṣubḥī : al-kiyān al-shi‘rī ‘inda Nizār Qabbānī, Dār al-Khayyāl lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, Bayrūt sanat 1999
7. Rajā’ Jārūdī : Filasṭīn arḍ al-risālāt al-ilāhīyah tarjamat ‘Abd al-Ṣabūr Shāhīn Maktabat Dār al-Turāth, al-Qāhirah sanat 1985.
8. Aḥmad ‘Izzat ‘Abd al-Karīm, Tārīkh al-‘Arab al-ḥadīth wa-al-mu‘āṣir, Mu’assasat Dār al-Ta‘āwun lil-Ṭab‘ wa-al-Nashr
9. Nāzik al-Malā’ikah : Qaḍāyā al-shi‘r al-mu‘āṣir, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, Bayrūt, Ṭ 14. sanat 2007.
10 ‘Abd al-Mālik Ashhabūn : ‘Atabāt al-kitābah fī al-riwāyah al-‘Arabīyah, Dār al-Ḥiwār lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, Sūriyā. Ṭ 1. sanat 2009 11 ‘Abd al-Malik Būmanjal : ‘unwān al-Dīwān "Tilka al-durūb", Dār Khayyāl, al-Jazā’ir 2024.
12 Dīwān Ka‘b ibn Zuhayr, sharḥ wa-taḥqīq ‘Umar Fārūq al-Ṭabbā‘, Dār al-Arqam lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘ Bayrūt Lubnān,
Clair, William. The Reading Nation in the Romantic Period. Cambridge : Cambridge University Press, 2005
14 ‘Abīr ‘Abd al-Raḥmān Thābit, Madá Ta’thīr fikrat Yahūdīyah al-dawlah al-Isrā’īlīyah ‘alá Mustaqbal al-qaḍīyah al-Filasṭīnīyah, Majallat Jāmi‘at al-Shāriqah lil-‘Ulūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah, al‘dd1, ywnyw2015.